الأهرام

المصدر : الحياة

التاريخ : ٢٥ مايو ٢٠٠٠

قرار اسرائيل بالانسحاب من لبنان إقرار بالهزيمة

محمود عزمي *

■ بمقتل الجندي الاسرائيلي ليلة ٢٠٠٠/٥/٤ في شمال اسرائيل، نتيجة قذائف الكاتيوشا التي أطلقتها المقاومة اللبنانية، ارتفع اجمالي قتلى الجيش الاسرائيلي في لبنان - وفقاً للمصادر العسكرية الاسرائيلية - الى ١٥٨٠ قتيلاً ونحو ٦٤٨٥ جريحاً، وذلك على مدى ٢٢ عاماً من تواجده هناك، اي منذ بدء انشاء ما سمي بـ«الحزام الأمني» بعد «عملية الليطاني»، التي تمت في الفترة ١٤ - ٢١ آذار (مارس) ١٩٧٨ التي صدر نتيجة لها قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ يوم ١٩٧٨/٣/١٩.

وكان ايهود باراك، رئيس الوزراء الاسرائيلي، صرح في ٢٠٠٠/٣/٢٧: «فقدنا حتى الآن ١٥٠٠ رجل في لبنان ولا نريد أن ندفع ثمناً اضافياً للبقاء في هذا البلد».

هذه الخسائر البشرية تعد كبيرة فعلاً إذا قورنت بخسائر الجيش الاسرائيلي المعلنة رسمياً في حرب ١٩٦٧، التي بلغت ٧٧٧ قتيلاً و٢٨١١ جريحاً على مختلف الجبهات، وكذلك مقارنة بخسائره في حرب الاستنزاف مع مصر وسورية في ما بين حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣، التي اعلنت اسرائيل انها أسفرت عن ٦٥٠ قتيلاً.

ولذلك اشتد الجدل السياسي والعسكري والإعلامي في اسرائيل طوال الأعوام الثلاثة الماضية بشأن المأزق الذي تورط فيه الجيش الاسرائيلي في جنوب لبنان، وتعددت الاقتراحات لكيفية الخروج من المأزق المذكور. واتجهت آراء العديد من السياسيين والعسكريين والصحافيين، فضلاً عن قطاعات متزايدة من الرأي العام داخل اسرائيل، الى طرح فكرة الإنسحاب من جانب واحد من منطقة «الحزام الأمني» كحل جذري لمشكلة تزايد خسائر الجيش الاسرائيلي هناك بعد أن ثبت، بصورة نهائية، فشل «جيش لبنان الجنوبي» تماماً في حماية المنطقة المذكورة بدعم عسكري اسرائيلي.

وكان أبرز المنادين بهذا الحل النائب العمالي يوسي بيلين الذي صرح، يوم ١٩٩٧/١/٢٩، أن على اسرائيل سحب قواتها من جانب واحد في جنوب لبنان، نظراً الى أن لا مجال للتوصل الى اتفاق في هذا الشأن، معتبراً أن سورية ستحبط أي محاولات للتفاوض من أجل سحب القوات الاسرائيلية من جنوب لبنان كونها معنية ببقاء الاسرائيليين في تلك المنطقة لتبرير استمرار الوجود العسكري السوري في لبنان. كما اقترح أن يتولى وسيط دولي، كفرنسا أو الولايات المتحدة، ترتيب الانسحاب المنظم مع الحكومة اللبنانية، وأن يطلب منها احترام الوعد بتجريد حزب الله من سلاحه. وقال ان على الوسيط المذكور إبلاغ السوريين انه إذا شجعوا حزب الله على شن هجمات على اسرائيل بعد الانسحاب، سيدعم الرأي العام العالمي الرد الاسرائيلي.

وانضم العديد من الكتاب الى رأي بيلين. فمثلاً، قال شالوم يروشليمي في مقال بعنوان «الشجاعة الحقيقية» نشرته صحيفة «معاريف» يوم ١٩٩٧/٢/١٠: «ان خروجاً من طرف واحد من لبنان ليس مراهنة، انه ضرورة واجبة لأسباب منطقية». وتابع «لقد سألت رئيس الحكومة بنيامين نتانياهو، في ١٩٩٦/١١/١٢، لماذا لا نخرج من لبنان؟ فتساءل بدهشة: من طرف واحد؟». وقال: «ان هذا غير مطروح» موضحاً أن «خروجاً من هذا النوع سيفسر في العالم العربي على الفور وكأنه ضعف اسرائيلي وانتصار باهر لحزب الله». وأضاف «تحدث باراك بنفسه عن اقتراح مختلف قدمناه منذ حين للسوريين، وهو أن يقوموا بتحييد حزب الله وعندئذ نخرج من لبنان. ولكن (الرئيس) حافظ الأسد لم يقم بدوره. ولماذا يقوم بهذا الدور، ولماذا لا يستنزف دماءنا يومياً فيما تبقى يداه نظيفة؟».

كما نشرت صحيفة «معاريف» في ١٩٩٧/٥/٢١ مقالاً للكاتب عاموس جلبوع بعنوان «لبنان بعد ١٥ عاماً» (أي بعد اجتياح ١٩٨٢)، قال فيه انه كان أحد أهداف اسرائيل استخدام لبنان «ورقة مساومة أمام السوريين في المفاوضات السياسية حول هضبة الجولان. والفكرة الرئيسية كانت: نتنازل للسوريين في لبنان وفي مقابل ذلك تقدم لنا سورية تنازلات في هضبة الجولان. فماذا يحدث اليوم؟ انعكست الأحوال. فالسوريون هم الذين يستخدمون لبنان في المساومة من أجل ابتزاز تنازلاتنا في هضبة الجولان. وهم الذين يسفكون دماءنا في جنوب لبنان من أجل إضعاف موقفنا في الصراع السياسي معهم حول التسوية في هضبة الجولان. والواقع اننا استسلمنا للابتزاز السوري كما لو كان أمراً من السماء».

ونتيجة لذلك تعهد باراك، أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٩٩، بالانسحاب من لبنان بحلول شهر تموز (يوليو) ٢٠٠٠. ولما تأخر في تنفيذ وعده جددت وسائل الإعلام الاسرائيلية الحديث عن الموضوع، فكتب يوئيل ماركوس مقالاً بعنوان «حسناً، هذه حرب خسرناها»، نشرتها «هآرتس» في ٢٠٠٠/٢/١١، قال فيه «من اللحظة التي تعهد باراك فيها بالانسحاب انتهت لدينا كل الأوراق هناك وضاع المبرر والمنطق في إحصاء الأيام. لقد خسرنا هذه الحرب. إذا كنا قد قررنا الانسحاب فعلاً، فيجب أن نخرج الآن».

ونتيجة لكل هذه الضغوط اتخذت حكومة باراك، في ٢٠٠٠/٣/٥، قراراً بالإجماع بالانسحاب من جنوب لبنان بحلول تموز (يوليو) ٢٠٠٠، سواء باتفاق مع سورية ولبنان أو من دونه. ورأى ديفيد ليفي وزير الخارجية الاسرائيلي، في تصريح له يوم ٢٠٠٠/٣/٦، أن هذا القرار «سيترك سورية من دون ورقة مقايضة قوية في محادثات السلام، في شأن مرتفعات الجولان»، وفي اليوم نفسه قال الجنرال دورون روبن، أحد ضباط الأركان الذين خاضوا الحرب في

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

لبنان: «من المثير للشفقة أننا لم نعلن الانسحاب من لبنان قبل سنتين، لكننا تجنبنا خسارة أرواح كثيرة، اليوم نحن نغادر في الدقيقة الأخيرة، فيما نحن غير مبادرين، بل منقادون».

وبدأت اسرائيل أول اجراءات تنفيذ قرار الانسحاب الاحادي الجانب المذكور بإبلاغ الأمين العام للأمم المتحدة، في ٢٠٠٠/٤/١٧، قرارها هذا مؤكدة انها تعتزم تحقيق ذلك «كاملاً طبقاً للقرارين ٤٢٥ و٤٢٦». وبدأت الأمم المتحدة إثر ذلك اتصالاتها مع كل الأطراف المعنية تمهيداً لتنفيذ القرار وانسحاب اسرائيل الى الحدود الدولية. وصرح ديفيد ليفي ان اسرائيل لا تلعب أي لعبة وأنها مستعدة «للتعاون مع الجميع لتحديد الخط الذي يوافق عليه الجميع».

وأصدر مجلس الأمن الدولي، بعد التشاور مع سورية، بياناً رسمياً بذلك في ٢٠٠٠/٤/٢٠ مؤيداً قرار الأمين العام للامم المتحدة في هذا الخصوص، ورحب بقرار ايفاده مبعوثه الخاص الى المنطقة للبحث في تطبيق القرار، وبدأ البحث في زيادة قوات الطوارئ الدولية التي ستشكل حاجزاً بين لبنان واسرائيل... الخ.

وتوالت بعد ذلك اجراءات اسرائيل الأولى لتنفيذ قرار الانسحاب التي شملت البدء في اقامة تحصينات جديدة وشبكات فولاذ لصد القذائف والصواريخ وكوابل للاتصالات على طول الحدود الشمالية مع لبنان، واخلاء بعض المواقع العسكرية. كما بدأ البحث في مصير «جيش لبنان الجنوبي» وعائلاتهم. وفي الوقت نفسه تزايدت حدة ووتيرة الردود النارية البرية والجوية الاسرائيلية على عمليات المقاومة اللبنانية المستمرة، فبلغت ٥٩٨ اعتداء جوياً وبرياً نتج عنها مقتل مدني و١٦ جريحاً، خلال شهر نيسان (ابريل) ٢٠٠٠ وحده، وذلك بهدف الحفاظ على معنويات القوات الاسرائيلية الموجودة في «الحزام الامني»، ومحاولة اثبات مقولة ان الانسحاب الأحادي لا يتم نتيجة هزيمة عسكرية، مع التاكيد في الوقت نفسه على نية الرد بقوة على العمليات المحتملة للمقاومة مستقبلاً ضد مستوطنات شمال اسرائيل. وشكل اطلاق المقاومة نحو ٤٠ صاروخ كاتيوشا ليلة ٢٠٠٠/٥/٤ على مستوطنات شمال اسرائيل مناسبة ملائمة لاسرائيل للتاكيد على نيتها في الردع، فكان أن قصفت الطائرات الاسرائيلية، فجر ٢٠٠٠/٥/٥، محطتي تحويل كهرباء وأهدافاً مدنية اخرى في لبنان.

وتمشياً مع الهدف نفسه صرح باراك في ٢٠٠٠/٥/١٢، انه يتوقع ان يقوم حزب الله بمحاولات لممارسة المزيد من الضغوط على اسرائيل ليعطي انطباعاً بأن هذه الهجمات اجبرت اسرائيل على الانسحاب من لبنان. وأشار الى ان الانسحاب في الواقع، قرار مستقل اتخذته بلاده لإنهاء مسا وصفه بالمأساة!

وبطبيعة الحال ستعمل اسرائيل على الاستفادة من قرار انسحابها الاحادي، اذا اكتمل تنفيذه على هذا النحو، كوسيلة ضغط سياسية غير مباشرة على سورية في مفاوضات التسوية والانسحاب من لبنان، ولكن كل ذلك لن يغير حقيقة ان قرار الانسحاب المذكور يعتبر اقراراً بهزيمة عسكرية اسرائيلية في مواجهة المقاومة الوطنية اللبنانية، وفشلاً في تنفيذ الهدف السياسي والعسكري من وراء اقامة «الحزام الأمني» منذ ٢٢ عاماً.

وهذه هي المرة الأولى في تاريخ الحروب العربية - الاسرائيلية التي تنسحب فيها اسرائيل من اراض عربية تحتلها نتيجة هزيمتها العسكرية. ومن هنا فهي خبرة قتالية عربية يجب الاهتمام بدراستها جيداً.

---

* خبير استراتيجي مصري ورئيس تحرير فصلية «الفكر الاستراتيجي العربي» سابقاً

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية